

الفصل التاسع

لهذا يهيئون

العالم !!

لهذا يهيئون العالم!!

«إنني مؤمن من كل قلبي أن الله يرعى أناساً مثلي ومثلكم لإعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد».

بهذه العبارة؛ اختصر الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان) الإطار العقدي الذي يحكم تفكير كثير من قادة السياسة والفكر والدين في الغرب^(١)، وسواء كان هؤلاء الزعماء من اليهود أم من النصارى؛ فإن القاسم المشترك بين اهتماماتهم هو (التهيئة)؛ نعم التهيئة والإعداد لقدوم المنتظر الموعود!

ولو كانت هذه العبارة- التي قالها ريجان- قد صدرت من واعظ في كنيسة أو حاخام في كنيس، لقلنا إنها من العبارات التي تصوغها العواطف في لحظات الانفعال الروحي، أو الافتعال الحماسي، ولكن العبارة صدرت من شخص كان هو الرجل الأول في العالم منذ عقد واحد من الزمن.

إن العالم يعيش منذ قرن كامل في ظل سيطرة تلك القوى التي تؤمن- كما يؤمن ريجان- بأنها تعد العالم لمقدم المسيح.

أما نحن، فإننا نؤمن بأن تلك القوى المتسلطة، تسخرها المشيئة الإلهية، وتسوقها إلى أقدار لن يخرجوا فيها قيد أنملة عما أرادته العلي القدير.

وإذا كان أمثال ريجان يعدون العالم- كما يقولون- لاستقبال المسيح الذي

(١) قال ريغان هذه العبارة في لقاء خاص دعا إليه كلاً من جيمي بيكر والقس جيمي سواغارت وجيري فالويل والقس مايك إيفنز، اليهودي المنتصر، والصديق الحميم لجورج بوش، والذي كان لا يتعد عنه في أشد لحظات التحدي (!) وكان هذا اللقاء بالبيت الأبيض عام ١٩٨٥ م، انظر: النبوءة والسياسة، ص ١٩٤.

تؤمن به النصرى، فإن القوى التي أوصلت ريجان وأشباهه إلى الحكم، تعمل هي الأخرى لإعداد العالم لمقدم مسيح آخر، فلليهود أيضاً مسيحهم المنتظر الذي يجتهدون في هذا العصر لتجهيز الدنيا لاستقباله.

الألفية وعقيدة الأعداد:

وإيمان أهل الديانتين بأن هناك منتظراً وشيك القدوم، وأنه لا بد من التهيئة لقدمه يرجع إلى عقيدة مشتركة بينهم تعرف بـ (العقيدة الألفية) وهي ترجمة لكلمة (Millenarianist) ومعناها: محتوى الألف، وهي في الأصل عقيدة يهودية يؤمن أصحابها بأنه على رأس كل ألف، لا بد أن يشهد العالم أحداثاً كبرى، وستظل تتتابع حتى يجيء الألف الأخير الذي يأتي بصحبته (الملك الألفي) الذي يحكم العالم كله بعد فترة من الاضطرابات والحروب والفتن، فالمسيح سيعود - حسب معتقد اليهود - قبل يوم السبت، أي قبل اليوم السابع الذي يعني الألف السابعة من عمر الدنيا، وهذا يعني - كما يقول (إيمانويل هيومان) «أننا دخلنا مرحلة الاضطرابات السابقة على عودة المسيح»^(١).

وقد انتقلت تلك العقيدة إلى النصرى بحكم إيمانهم بالتوراة التي جاء الإنجيل ليكملها فقط، ومما يدل على عمق إيمان النصرى بالعقيدة الألفية، أنهم قد أصابتهم الحمى الألفية على رأس الألف الأول، وظهر أثر ذلك في الحملات الصليبية الشرسة التي اندفعوا بها نحو الشرق للاستيلاء على القدس عاصمة المبعوث الألفي^(٢)، ولما لم يظهر ولم يعد، استأنفوا الانتظار للألف التي تليها.

(١) كتاب (الأصولية اليهودية)، تأليف إيمانويل هيومان، ص ٩١.

(٢) هذا على رأي بعض المؤرخين.

ملك اليهود المنتظر:

قد يظن ظان أن الكلام عن العقائد الألفية والدورات السبعة للدينيا يقتصر على اهتمامات الشريحة الموعلة في الدين فقط من اليهود، وهذا الظن غير صحيح، بل الصحيح أن معظم ساسة اليهود يعتبرون دولة إسرائيل، حجر الأساس في مملكة الألف الأخير، هذا على المستوى الرسمي والدولي، ويدل على ذلك أبلغ دلالة أن الشعار الرسمي لدولة اليهود منذ قامت هو (الشمعدان) المسمى بالعبرية (المنوراة) ذي الفروع السبعة الدالة على أيام الخليفة السبعة، التي يتوسطها الفرع السابع المنفرد الذي يرمز لـ (إسرائيل) في ألفيتها السابعة! أي إن دولة (إسرائيل) بمعنى آخر هي الدولة التي ستمتد لتتحول إلى المملكة التي ستحكم العالم من القدس - كما يحلمون - تحت قيادة ملك السلام المنحدر من نسل داود.

وقد استمد اليهود معتقدتهم في مجيء ملكهم المنتظر من النص التالي من التوراة التي في أيديهم: (ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا أورشليم، هو ذا ملكك يأتي إليك، وهو عادل ومنصور، وديع وراكب حمار، وعلى جحش من أتان!)^(١).

ويطلقون على هذا الملك (الماشيح) وهو اسم عبري مشتق من (مشح) أي مسح بالزيت المقدس، وهم يعتقدون، بمقتضى التوراة أيضاً - أن ذلك الملك سوف يجمع بقية اليهود المشتتين من أنحاء العالم، بعد أن يهتف له اليهود الذين عادوا بالفعل إلى القدس، ففي سفر أشعيا (١١ / ١ - ٢) جاء هذا النص: «ومن ذلك اليوم، يعود السيد فيمد يده، ليحوز بقية شعبه من بقى منهم من آشور

(١) سفر زكريا، ٩/١.

ومصر وفتروس، وكوش وعيلا م وشنعار وحماءة وجزائر البحر، وينصب راية للأم ويجمع المنفيين من إسرائيل، ويضم المشتتين من يهوذا من أطراف الأرض». ولهذا لما عادت ملايين من اليهود إلى الأرض المقدسة في نصف القرن الأخير، وبقيت ملايين أخرى خارجها^(١)، أيقن اليهود أن زمان المسيح قد اقترب لجمع بقاياهم في بيت المقدس، يقول (إيمانويل هيمن): «أغلب أساتذة الأرثوذكس اليوم يقولون إنه حيث أن مرحلة العودة المنتظرة للمسيح قد بدأت، فإننا نمر الآن بمرحلة انتقالية يفسرها عودة جزء من الشعب اليهودي إلى الأرض»^(٢).

وهذا الترقب الحالم، يعمل عمله في نفوس اليهود كلما تفاعل حدث أو جدّد جديد يشعرهم بقرب المجيء، ويذكر مؤلف كتاب (الأصولية اليهودية) أنه قابل أحد الحاخامات اليهود وتحادثا عن شأن المسيح المنتظر فقال له الحاخام: «نحن بالتأكيد على مشارف عهد مجيء المسيح المنتظر، والتوراة تؤكد ذلك، ففي الإصحاح الثلاثين من سفر التثنية نجد هذا النص: «فإن رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أو صيكت به اليوم أنت وبنوك، يردُّ الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك».

ثم عقب المؤلف قائلاً: «هذه العبارة المحورية في التوراة، تتحدث عن نهاية الزمن، وأنه ستحدث توبة كاملة من كل القلب وكل النفس ويومها سيدفع الأبناء آباءهم إلى التوبة»^(٣)!

(١) اليهود داخل فلسطين، ٤ ملايين وخارجها بين ١٠ إلى ١٢ مليون.

(٢) الأصولية اليهودية، ص ٩١.

(٣) الأصولية اليهودية، ص ١١١.

ولكن أي توبة؟! إنها التوبة إلى (يهوه)^(١) الإله الذي اخترع اليهود له ما يشاؤون من أسماء وصفات بشرية وعنصرية! وإنها الأوبة إلى (التوراة) التي حشروا فيها ما يشبع جشعهم ونهمهم وحقدهم مما نسبوه إلى شرع الله! إن توبة اليهود المنتظرة - كلما اقترب موعد المنتظر - هي مزيد من العداوة . . مزيد من المرارة . . مزيد من الهياج المتآمر لتخريب الدنيا، ليجيء مخلصهم فيخلصها لهم كما يحلمون!

يقول الحاخام (موشى كوفمان) «إن دولة (إسرائيل) ليست هي التي ستعلن نهاية العالم، وإنما عودة قطاع عريض من الشباب اليهودي إلى الدين هي التي ستؤدي إلى ذلك»^(٢)!

إن تلك الأجيال التي بدأت تأخذ مكانها - بل تفرض نفسها - في المجتمع اليهودي، هي كتائب من حملة التوراة ودارسي التلمود الذي يتقربون اليوم إلى الله بتقريب يوم مجيء المسيح، وكيف لا يفعلون ذلك والتلمود الذي يتعبدون به يقول: «يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة في الأرض المقدسة لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم، يجب - لا حظ - أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب»^(٣)! ويستحث التلمود أتباعه على العمل لإخراج المسيح: (اطلبوا المسيح بإخلاص وهو سيستجيب ويجيء)»^(٤).

(١) يهوه، هو أعظم أسماء الإله عند اليهود، ومعناه: رب الجنود، أو منزل الصواعق وقد ذُكر في التوراة أكثر من ستة آلاف مرة، وبلغ من قداسته أنه لا يجوز لأحد من اليهود أن يتفوه به، إلا الحاخام الأكبر داخل قدس الأقداس!

(٢) الأصولية اليهودية، ص ١١٢ .

(٣) التلمود، تاريخه وتعاليمه، ص ٥٠ .

(٤) نقلاً عن الخلفية التوراتية، ص ٨٩ .

ولما كان مجيء المسيح اليهودي تجديداً للعالم، فلا بد وأن يسبق مجيئه انتشار الفوضى والاضطرابات، وبعد مجيئه وانقضاء فترة (المخاض) فإن العالم الجديد لن يكون كالعالم الحالي في اعتقادهم، فالسلام سيعم الدنيا، والبكاء والأنين سيختفيان منها، ولن يكون بعد ذلك شكوى أو إزعاج أو حزن، فتبارك (إسرائيل) بمجيء المسيح اليهودي وينتهي عنها الضغط، وتتبوأ مركزها العالمي الذي أعده لها الرب، ويتبدل مصير (إسرائيل) لدرجة أن كثيراً من الغرباء سيحاولون الانضمام للطائفة اليهودية، ولكن سيتوجب رفضهم لأن رغبتهم ينقصها الإخلاص: وكما يعتقدون؛ فإن لا مهتدي يقبل في أيام المسيح، يقول التلمود «سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين»^(١) وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم»^(٢) والتلمود الذي يعدُّ شريعة شفوية عند اليهود في مقابل الشريعة المكتوبة التي تمثلها التوراة، يعج بالخرافات والأساطير التي تدور حول محور واحد هو (المسيح المنتظر)، يقول الدكتور جوزيف باركلي بعد دراسته لكتاب التلمود «إن قضية المسيح هي أهم قضايا اليهود فيه»^(٣) ومع ذلك فإن تلك الخرافات والأساطير، هي الدين الذي يدين به اليهود ويتفانون في خدمته.

خذ مثلاً على تلك الخرافات الروحية المادية معاً، يقول التلمود: (حين يأتي

(١) اليهود كانوا- ولا يزالون- لا يبادلون النصارى مشاعر الود، بل هم يحاولون الاستفادة منهم وابتزازهم فقط.

(٢) انظر: (فضح التلمود) زهدي الفاتح و (التلمود- تاريخه وتعاليمه) لظفر الدين خان، ص ٥٨، دار النفائس.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩.

المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة) . . . (أرض إسرائيل ستنتب الخبز والأقمشة من أجود أنواع الصوف ، وستنتب القمح في لبنان عالياً مثل أشجار النخيل وسيهب هواء يجعله دقيقاً فاخراً)^(١)!

وقد يتصور البعض أن هذا المعتقد الخرافي عن المسيح قد نسى وطمرته القرون منذ أن وُضع التلمود منذ آلاف السنين ، ولكن مصادر اليهود المعاصرة تدل على أن ذلك المعتقد لا يزال حياً ، ويأتي على رأس تلك المصادر (بروتوكولات حكماء صهيون) .

فقد تحدثت أيضاً عن المنتظر الموعود ولكن على طريقته التخطيطية التدبيرية المبرمجة ، جاء فيها (إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية في شخص ملكنا وستعنده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذي يُعني بسد كل حاجاتهم ويرعى أعمالهم ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض ، وبهذا سينفذ الإحساس بتوقيع الملك بعمق بالغ في الأمة ، حتى لن تستطيع أن تقدم غير عنايته وتوجيهه ، إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في سلام إلا به ، وسيعرفون في النهاية أنه حاكمهم الأوتوقراطي المطلق)^(٢) ، (ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطريك لكل العالم)^(٣) ، (إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحقيقي للعالم ، بطريك الكنيس الدولي) ، (إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ، ومعيناً من أعلى كي يدمر كل الأفكار التي تغري بها الغريزة

(١) التلمود وتعاليمه ، ص ٦٠ .

(٢) البروتوكول الخامس عشر ، ص ١٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

لا العقل ، إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل ، ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا ، وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أي قدر في طريق ملكنا ، وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم : صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم ، والذي يقود الله ذاته نجمة ، فلن يكون أحد آخر إلهو نفسه قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة^(١) ، (وفي البروتوكول الرابع والعشرين وهو الأخير من البروتوكولات المترجمة ، يقول المتحدث فيه : «والآن سأعالج الأسلوب الذي تفدى به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر» ثم تختم البروتوكولات حديثها بهذه العبارة .

(إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي الخارج من بذرة إسرائيل لي طرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه ، إن ملكنا يجب أن يكون مثال الجبروت) . توقيع ممثلي صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين^(٢) .

عقيدة المسيح في فكر المؤسسين:

إذ كان البعض يشكك في مصداقية نسبة نصوص البروتوكولات المذكورة إلى أساطين اليهود فإن التاريخ المدون للحركة الصهيونية المعاصرة ، يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن فكرة العمل للتعجيل بخروج المسيح اليهودي ، كانت ملازمة لأكثر رموز الصهيونية الحديثة .

ففي عام ١٧٧٣ م عندما بدأ أثرياء اليهود في عقد اجتماعاتهم لبحث المسألة اليهودية ، كان ممن حضرها الثري اليهودي الشهير (ماير روتشيلد) وفي الاجتماع

(١) البروتوكول الثالث والعشرون ، ص ١٧٢ .

(٢) البروتوكول الرابع والعشرون ، ص ١٨٨ .

الأول طرح روتشيلد وجهة نظره التي يلخصها في أنه من الواجب على أثرياء اليهود تجميع ثروتهم وتأسيس مجموعة واحدة، ومن خلالها يقومون بتمويل الحركات الثورية في العالم، بما يمكن معه أن تستغل تلك الحركات للسيطرة على الثروات والموارد الطبيعية في دول العالم.

وأخرج روتشيلد وثيقة قرأها أمام الحضور تتضمن خطة عمل منظمة بعناية تحدد كيفية الاعتماد على الذهب وطريقة الوصول من خلالها إلى الأهداف المرحلية والشعارات التي يجب رفعها لتحقيق تلك الأهداف وافتعال الأزمات التي توصل إليها، وبعد أن انتهى من قراءة الوثيقة قال: «وعندما يحين وقت سيدنا وسيد العالم أجمع (المسيح المنتظر) لاستلام السلطة، فإن الأيدي ذاتها التي سنصنعها ستتكفل بإزاحة من يقف في طريقه»^(١).

ومن بعد روتشيلد، كان الحاخام (يهودا القلعي) ١٧٩٨ - ١٨٧٨ م من أشد المتحمسين لفكرة المسيح المنتظر، وهو أول من انطلقت البداية الحقيقية للصهيونية الدينية المعاصرة على يديه، وقد اقترح على اليهود في كتابه (شمعي إسرائيل) يعني إسمعي يا إسرائيل، الذي نشر عام ١٨٣٤ م، أن يتجمعوا في فلسطين تحت زعامة يهودية لقناعته - حسب حسابات أجزاها - بأن المسيح المنتظر سيجيء في وقت قريب جداً، فلما لم يأت في الموعد الذي توقعه، غير أفكاره، وانتقل إلى دعوة أخرى خلاصتها أن الخلاص سيأتي بالعمل، وليس بالانتظار، وبالفعل طرح أفكاراً (عملية) تمهد لمجيء المسيح - بزعمه - وقد تلقفها منه بعد ذلك الصحفي النمسوي الشاب (تيودور هرتزل) أبرز رموز الصهيونية الحديثة والذي

(١) أحجار على رقعة الشطرنج تأليف وليام كار، ص ٨٤.

تحدث عن نفسه ، بما يدل على أن عقيدة المسيح المنتظر كانت من دوافعه المبكرة للاهتمام بقضية إنشاء (الدولة اليهودية)^(١) وقد روى هرتزل - قبل وفاته بنصف عام - لأحد أصدقائه من الكتاب الصحفيين رؤيا رآها في صغره وأثرت فيه كثيراً ، قال : «ظهر لي المسيح الملك ، على صورة رجل مسن في عظمته وجلاله ، فطوقني بذراعيه ، وحملني بعيداً على أجنحة الريح ، والتقينا على إحدى الغيوم القزحية بصورة موسى ، فالتفت المسيح إلى موسى مخاطباً إياه وقال : «من أجل هذا الصبي كنت أصلي» ثم قال له : «اذهب وأعلن لليهود بأنني سوف آتي عما قريب ، لأجترح المعجزات الكبيرة ، وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي في العالم بأسره»^(٢) .

وكما صاحبت فكرة المسيح المنتظر المؤسسين الأوائل لفكرة الدولة اليهودية ، فقد انتقلت للأجيال التي بعدهم بعد تأسيس الدولة ، يقول بن جوريون أول رئيس وزراء في دولة اليهود : (الإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي ، يردده الفرد في صلواته اليومية ، إذ يقول بخشوع ، أو من إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح ، وسأبقى - حتى لو تأخر - انتظره كل يوم)^(٣) .

العلمانيون والمسيح:

إذا كان هذا حديث الزعيم (العلماني) الأول ، فلا غرابة أن نرى مساعي بقية الزعماء العلمانيين الذين قادوا الدولة في مرحلة التأسيس ، لا تتعارض مع ذلك

(١) من المعروف أن لهرتزل كتاب بهذا العنوان ، جمع فيه أفكاره عن الدولة التي أعلنت بعد وفاته بخمسين عاماً .

(٢) (إسرائيل الكبرى) دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، د. أسعدرزوق ، ص ١٨ ، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

(٣) نقلاً عن الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، ص ٤٢ .

المعتقد، بل تسير في اتجاه التهيئة نفسه، ولكن من النواحي المادية التي كان لا يحسنها الدينون في البداية، يقول الحاخام كوك هو فمان: «لا ننسى أن لنا جسداً مقدساً وليس مجرد روح مقدسة، فتجدد إسرائيل يجب أن يتم أيضاً على المستوى الجسدي» ويعقب إيمانول هيمان على تلك المقولة بقوله: «إن رسالة اليهودية هي تقديس الدنيوي، وتحقيق الوعد الألفي لإسرائيل، هو بحد ذاته الذي يجعل العلمانيين يجمعون في مشاركة عظيمة بين الإلهي والإنساني وبين الجسد والروح»^(١).

إذن، فالتهيئة لمجيء المسيح ليست مما يتعارض مع (العلمانية) الإسرائيلية التي تحتفظ بطابع خاص يميزها عن كل العلمانيات، وخاصة العلمانيات العربية، فالعلمانيون اليهود كانوا دائماً خدماً لدولة (إسرائيل) الدينية، ولكن احترام التخصص والكفاءة هو الذي دفع بالشخصيات (العلمانية) إلى مقود القيادة في عقود التأسيس الأولى فيما عرف باتفاق (الوضع الراهن)^(٢)، فهي مرحلة، ستعود بعدها القيادة للدينين، بعد أن يستكملوا تأهيلهم وبنوا كوادرم.

يقول محمد حسنين هيكل في أحدث كتبه «إن الصهيونية السياسية وهي حركة علمانية، أتمت عملية بناء الدولة اليهودية في فلسطين، وهي دولة تقوم على أساس ديني، وكانت الصهيونية السياسية العلمانية أقدر باستعدادها وكفاءتها على تحقيق حلم الدولة اليهودية، وذلك تم لها بالسياسة والسلاح وأية

(١) نقلاً عن الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص ٤٢.

(٢) الوضع الراهن هو: اتفاق أبرم عام ١٩٤٧م بين القوي العلمانية والجماعات الدينية تم بموجبه الفصل الواضح بين اختصاصات العلمانيين والدينين وتحديد صلاحيات ومكتسبات المتدينين، وقد التزم به الفريقان للآن.

وسائل غيرهما لفرض الأمر الواقع، لكن قيام الدولة وضرورات بقائها واحترامها بما يتعدى قوة الأمر الواقع، دعا إلى بحث ضروري عن جذورها وهويتها وبالتالي شرعيتها وهكذا فإن الأسطورة الدينية عادت لكي تأخذ مكانها الذي ترحزت منه جزئياً فترة إقامة وتأمين الدولة»^(١).

ويقول الفيلسوف الأرثوذكسي اليهودي (أفراهام رافينسكي) من الجامعة العبرية في القدس: (قبل ١٩٦٧م كان الصهيونيون العلمانيون هم الذين في السلطة، وكانت تتكون منهم الطبقة السياسية الحاكمة، وكانوا على رأس الجيش، أما الأرثوذكس فكانوا حراس الشريعة والتوراة، ولكن الاستيلاء على حائط المبكى جعل الدينيين هم حملة العَلَم لصهيونية تضمن استمرارها المستوطنات الدينية»^(٢).

- ولكن المتدينين الفعليين هم الآن في وضع جاهزية وجدانية وروحية لتصديق أي تطور (يبشر) بقرب المجيء المرتقب، بل لتصديق أية فكرة (جريئة) بشأن المسيح ولو كانت فكرة الإدعاء بظهوره بالفعل، فمنذ سنوات قليلة جداً، وبالتحديد في عام ١٩٩٤م، توفي حاخام يهودي، كان قد التف حول الآلاف من اليهود بعد أن ادعى أنه هو المسيح المنتظر!!

وملخص قصة هذا الرجل، أن جماعة دينية يهودية تطلق على نفسها اسم جبد^(٣) دخلت الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٨٨م، تأييداً لحركة (أجودات إسرائيل) الدينية، وقد ارتفع عدد نوابها في البرلمان مما مكنها من تأسيس حزب

(١) الخليج مكشوف، لمحمد حسنين هيكل، ص ٣١، دار الشروق.

(٢) صحيفة جويش كرونيكل، ١/١٢/١٩٩٥م.

(٣) هو اسم متخذ من الحروف الأولى لكلمات (الحكمة والذكاء والمعرفة) باللغة العبرية ويطلق عليها أيضاً جماعة (اللوبافيتش) نسبة إلى مدينة صغيرة في روسيا البيضاء نشأت فيها الحركة.

جديد هو (هيجيل هاتورا) ومع انخراطها في السياسة، أخذت حركة (حبذ) أو (اللوفافيتش) اتجاهها يبشر بعودة المسيح القريبة، وأعطى حاخام الحركة نفسه الحق في الاشتراك في كل الحملات الانتخابية الإسرائيلية للتركيز على القضية الأساسية وهي قرب مجيء المسيح، وضرورة تجهيز الأرض اليهودية لاستقباله، وحيث أعلنت تلك الحركة عن قرب مجيء المسيح؛ فقد أصبح أتباعها ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جنود جيش المسيح المنتظر في جميع أنحاء العالم، وأعلنوا أنهم سيركزون جهودهم للإسراع بمجيء المسيح مخلص الإنسانية، وانطلق شباب منهم لابسين السواد للانتشار بدعوتهم في نيويورك، ولندن، وباريس، وكذلك في مدريد وجنيف، ويركزون خلال ذلك على غزو أحياء اليهود لدفعهم بقوة للعودة للدين والتوبة التي ستسرّع لحظة الرؤية السامية للجميع! ووسط أجواء محمومة بالتبشير بالعودة، إذا بشيطان إنسي منهم يظهر فيهم، وي طرح نفسه على أنه المسيح! إنه الحاخام (مناحيم شنيرسون) ذلك الرجل المهم الذي استطاع أن يسترعي أنظار العميان، ويستجلب إعجاب ورضا الآلاف من المغضوب عليهم بثقافته التوراتية العميقة، وعبقريته العلمية المتنوعة ومنطقه المقنع، وحماسه المبهر، ومهارته في فك الألغاز والأحاجي بين سطور الأساطير، إضافة إلى مركزه العلمي الأكاديمي المشيد فوق هرم من شهادات الدكتوراه، مما صنع منه في نظرهم الرجل الأسطورة.

وبدأ رعاى اليهود ينسجون حول الرجل أقاصيص الكرامات وأساطير المعجزات، مما جعل مقره في مدينة بروكلين قبلة يؤمها المريدون اليهود من كل أنحاء العالم! ومع بداية التسعينات كثر أتباعه المصدقون بأنه هو المسيح، ولم يشأ الخبيث أن ينفي عن نفسه هذه الصفة، وإنما شجع من ينظرون إليه هذه النظرة،

بل حاول تأكيدها بنسبته إلى الجيل السابع (المقدس) من مؤسسي حركة (حبد)، واستغل صفة أخرى وُجدت فيه ليزيد أتباعه فتنة، وهي دعواه أنه من نسل داود! ولكن الرجل الذي دعا نفسه ودعا أتباعه بـ (المخلص) قد خلص إليه الموت قبل أن يخلص أحداً، مما أذهل أتباعه المهووسين به، ودفع بعضهم إلى الاعتقاد أنه هو المسيح القادر على أن يعود مرة أخرى ليظهر أمام العالم بملابسه البيضاء ليكون ذلك ادعى للتصديق به!^(١).

إن العبرة المستمدة من هذه الأهزولة اليهودية الحادثة منذ سنوات قليلة، هي أن أتباع المسيح اليهودي المنتظر موجودون الآن قبل أن يخرج إليهم، وهم على أتم الاستعداد لتجيش الآلاف حوله إذا ما صرخ فيهم الشيطان بأنه قد خرج!

وأشد ما يمكن أن يثير ثورانهم وفورانهم؛ أن يرتكب أحد خطيئة التسبب في تأخير ظهور مسيحهم الذي طال انتظاره، ففي حين ترى الجماعات الدينية أن هناك أعمال يتوجب عليها القيام بها لتقريب مجيء المسيح، فإنها ترى في الوقت نفسه أن هناك أيضاً ما يمكن أن يؤخر مجيئه، فاتفاقات السلام مع العرب مثلاً، أو الانسحاب من بعض (أرض إسرائيل) أو انتهاج مسالك علمانية مجافية للتوراة، كل ذلك يمكن أن يؤدي إلى تأخير ظهور المسيح، وضمن هذا الإطار، فسّر (أسمار شورش) عميد معهد اللاهوت اليهودي مقتل رايبين بأن وراءه اعتقادات دينية تتعلق بمجيء المسيح فقال: «إن السبب العميق وراء اغتيال رايبين، لا يرجع للخطاب الديني ولا للأرثوذكسية، وإنما للمناداة بمجيء المسيح المنتظر، فتلك هي الصيحة التي انتشرت بعد حرب الأيام الستة، إن التطلع نحو الخلاص على يد المسيح المنتظر، مع التشبث بقدسية الأرض، يؤدي إلى تحريم إعادتها

(١) قصة هذا الرجل بتوسع في فصل (اللوفاتش) من كتاب الأصولية اليهودية.

بشكل مطلق»^(١) فقدسية الأرض تقتضي التمسك بها، وتقتضي طرد (الأغيار) منها حتى لا يحدث الاختلاط وإلا . . فإن المسيح سيتأخر، ولا يمكن لليهود المخلصين له أن يسمحوا بهذا التأخير! يقول إيمانويل هيومان: «إن واجبهم - أي تلك الجماعات الدينية - هو أن يحافظوا على النقاء اليهودي بكل عناد، وألا يسمحوا لأية قوة على الأرض أن تقف عقبة في هذا الطريق المؤدي إلى مجيء المسيح المنتظر»^(٢).

لقد كانت فترة حكم بنيامين نتنياهو فترة اطمئنان للجماعات الدينية المؤمنة بقرب عودة المسيح، لأنه هداً من روعها فيما يتعلق باستمرار السيطرة على ما يعتبرونه أرض إسرائيل، أما إذا حدث تحول إلى الناحية العكسية، أي عودة الكلام عن السلام والتنازل والانسحاب، فإن الاحتمال الأقوى هو أن تلجأ تلك الجماعات إلى العنف مرة أخرى، إذ إن أحلامها الألفية ستبدو مهددة، ومحبطة يقول مؤلف الأصولية اليهودية: «هدأ انتصار اليمين من مخاوف الإسرائيليين المتدينين من احتمالات تهديد المستوطنات، وكذلك يرضى أغلبهم عن استمرار السيطرة اليهودية على الأراضي التوراتية في المرحلة السابقة على مجيء المسيح المنتظر، لأن هذا الاستمرار يؤكد اقتراب نهاية الزمان وساعة الخلاص المرتقبة، ولكن إذا انتهى نتنياهو^(٣) من مواقف الرفض الرمزية ودفعته البراجماتية والضغط الأمريكي إلى متابعة عملية السلام بشكل جدي، سيزداد اليأس لدى القوميين والأرثوذكس ساعتها، وتزداد ردود أفعالهم عنفاً، فمن وقتها سيسيطر

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٨١ .

(٢) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٧ .

(٣) كان هذا الكلام بالطبع قبل أن يسقط نتنياهو في انتخابات مايو ١٩٩٩ م .

على أولئك الذين يعتقدون أن الله هو الذي يأمرهم بالعصيان المدني»^(١).
ومن هنا نفهم أبعاد الحرص الشديد من إيهود باراك بعد فوزه على طمأنة
تلك الجماعات بأنه لن يمس المستوطنات ولن يفرط في القدس الشرقية ولن
يسمح بالعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ م.

إن الجماعات الدينية التي تمتلئ بها الساحة الإسرائيلية اليوم، والتي تحرص
كل الحكومات على استرضائها وشراء أصواتها؛ ليست فيما بينها على وفاق أو
اتفاق في مجمل قضايا الاهتمام الديني، ومن ضمنها مسألة انتظار المسيح،
فالأمر بينهم كما قال الله - سبحانه - : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر: ١٤] ،
فهم يختلفون في ترتيب العلامات التي ستسبق مجيء المسيح ويختلفون
في موعد عودته وفي مدة لبثه، ولكن الشيء المتفق عليه من الجميع هو تجاوز تلك
الخلافات والقفز فوقها إلى صيغة موحدة تضمن الحد الأدنى من الوحدة في
العمل للتهيئة لمجيء المسيح، وليكن بعد ذلك ما يكون.

يقول إيمانويل هيمنان : «كل التيارات الأرثوذكسية المختلفة، تتبع طريقاً
سيؤدي بها في المستقبل إلى أرضية مشتركة، ألا وهي اقتناعها جميعاً بقرب
مجيء المسيح المنتظر، فإذا كان المخلص على وشك الظهور؛ فإن كل التناقضات
الظاهرية تكون مبررة لأنها تهيء العالم والأرض المقدسة لاستقبال مبعوث
الله»^(٢).

القوى السرية ومساعي التهيئة:

إذا كانت تهيئة العالم لمجيء المسيح قضية محورية لدى الجماعات الدينية
العاملة في العن داخل الأرض المقدسة؛ فإن القوى اليهودية السرية التي تعتبر

(٢) المصدر نفسه.

(١) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٥.

العالم كله ساحة لنشاطاتها، كانت تعمل بدأب - ولا تزال - للغاية نفسها، ولكن على طريقتهما هي، طريقة المؤامرات والثورات والمخططات الطويلة والقصيرة والمتوسطة المدى، وقد مر ذكر بعض نصوص البروتوكولات الصريحة في ذلك، فطوال القرن المنصرم - وربما قبله - لم تكف تلك القوى عن اختراقاتها للمعسكرات الدولية والتغلغل فيها شرقاً وغرباً بغرض فرض السيطرة اليهودية على الاقتصاد العالمي والإعلام العالمي والسياسة العالمية والمؤسسات الدولية، ويكابح الحقيقة ويعاندها من ينكر النجاح الكبير الذي أحرزه اليهود في اختراقاتهم الهادفة للسيطرة على العالم . يقول (وليم كار) في مؤلفه الشهير أحجار على رقعة الشطرنج: «إن اليهود اختاروا فلسطين لتكون المركز الجغرافي المناسب لخطتهم العامة في السيطرة على العالم وتنصيب أميرهم أمير السلام ملكاً على العالم»^(١) هذا في العقود الماضية من القرن المنصرم، أما في القرن الحادي والعشرين، فإن الهدف هو (إنجاز) المزيد من النبوءات وتحقيق المزيد من الأساطير، ما دامت الساحة خالية، يقول إيمانويل هيمنان : « إن الهدف الكبير لليهودية القرن الواحد والعشرين، سيكون محاولة اختراع المستقبل مع استمرار الإخلاق للماضي^(٢) .

هذا عن الهدف الكبير لليهود، فماذا عن الهدف الكبير للنصارى وما المستقبل الذي يعدون له، ومن الضيف الذي لم يعودوا يحتملون تأخيرهم، وكيف يهيئون الدنيا لضيافته، هذا موضوع الفصل التالي .

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، تأليف (وليام كار)، ص ٣٣٢، دار النفائس .

(٢) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٦ .